

النفائس

مجموعة لطائف وفكاهات

تصدر مرة في الاسبوع

لمنشئها

خليل بيدس

الاحد في ٢٢ (٩ ش) تشرين الثاني سنة ١٩٠٨

القرعة

ينسب حدوث هذه الرواية الى عهد القائد العام الانكليزي اوليفر كرومويل الشهير الذي كان ايضاً حاكماً في البلاد الانكليزية . فقد كان من جملة قواد الجيش الانكليزي وقتئذ رجل بسن الثلاثين اشتهر بالرغم عن حداثة سنه ببسالته وبلائه في ساحات الوغى واكتسب بذلك صيتاً حسناً في البلاد وحدثه طيبة في الجيش حتى صار نموذجاً للبسالة ومثالاً للاقدام . وكان له امرأة حديثة السن لطيفة الذات

فكانت عيشته معها راضيةً تمثلت فيها سعادة الحياة ورغد معيشة
الزوجين بالآلفة والسلام . غير ان مصيبة عظيمة انقضت عليهما بغتة
فقوّضت كل آمالهما وتهددتهما بأشدّ الاهوال واعظم الاخطار

*

كان هذا القائد واسمه مايفار جالساً في احدى ليالي الشتاء في
منزله والى جانبه امراته . فبعد ان تحرّثا قليلاً في موضوع مصيبتها
قاما فصليا صلاة حارّة ثم جلسا يتأملان في حالتهما التعبة ويتنهدان
لعلمهما بان ساعة الخطر قد صارت اقرب اليهما من جبل الوريد .
وكانت لهما ابنة جميلة الصورة بديعة الهيئة بسن السابعة واسمها ابي
فكانت موضوع عنايتهما واهتمامهما وقد وقفوا عليها جميع عواطفهما .
وكان القائد مايفار يعلم ان ابنته لا تبطل ان تدخل عليها لتودعها
قبل ذهابها الى سريرها ولذلك قال لزوجته كفكفي دموعك الان
لئلا تراك عزيزتنا ابي وتبتئس فلاجلها يجب ان ننسى كل حزن .
قالت ساجته في اخفاء حزني العظيم في اعماق قلبي . قال علينا في
كل حال ان نحتمل هذه المصيبة بصبر ونستقبل القدر كيف جاء
فليفعل الله ما يشاء . وما كاد يفرغ من كلامه حتى دخلت الابنة في ثياب
النوم وهي تطفر فرحة مسرورة فالتت بنفسها على ابيها وقبلته . فضمها هو
الى صدره وقبلها طويلاً وهو يرتعش . فقالت له لماذا تقبلني هكذا بشدة
والذي العزيز فقد آلمتني واخربت ترتيب شعري . قال عفواً

يا حبيبتى فانا مستعد ان اكفر عن ذنبى بما تشائين بشرط ان تصفحى
 لى . ثم قبلها ثانية وهو يظهر المسرة . فاشرق وجه الطفلة وقالت
 فاذا احك لى قصة لطيفة اتفكه بها قبل النوم . قال سمعاً وطاعة
 فساحكى لك قصة مفرحة للغاية . قالت لا بل اريد ان اسمع منك
 هذه الليلة قصة مخيفة وقد ذكرت لى مرضعتى اليوم بان الناس لا
 يقضون كل ايامهم بالغبطة والسرور بل يحدث لهم كثيراً ما محن ومصائب
 شتى فاريد منك ان تحكى لى هذه اليلة شيئاً من مثل ذلك . فتهدت
 الام . وقال الاب حسن فسا فعل ذلك الان حسب طلبك . فتهلت
 الابنة وقالت لامها اقتربى الينا يا امى وخذى احدى يديى وائى
 ياخذ الاخرى لنكون منضمين الى بعضنا بحيث لا يتولانا الخوف
 والجزع اذا راينا فى القصة ما يخيف ولما جلسوا كما ارادت قال الاب
 كان فى احدى الممالك ثلاثة قواد . . . فقاطعت ابي بقولها آه ما احسن
 هذه القصة فانا ابرف القواد واحبهم لانك واحد منهم . فاندفع من
 صدر الاب تنهد طويل ثم واصل حديثه بقوله وان هولاء القواد قد
 خالفوا مرة النظام العسكري لان القائد العام امرهم ان يتظاهروا بالهجوم
 على الاعداء ليسهلوا بذلك الانسحاب للجيش اما هم فبدلاً من المظاهرة
 بالهجوم هجموا هجوماً فعلياً وانتصروا انتصاراً باهراً اما القائد العام فمع
 سروره بهذا الانتصار اغتاظ جداً لعدم انقياد القواد ومخالفتهم اوامره
 ولذلك ارسلهم الى لندن ليحاكموا فى مجلس حربى . فقالت ابي افليس

القائد العام هو كرومويل يا والدي؟ قال نعم هو بعينه . قالت انا اعرفه وقد رايته مرة على صهوة جواده ماراً بازاء بيتنا ومن حوله الجنود وقد كان وقتئذ عابس الوجه والجميع خائفون منه اما انا فلم اخفه لانه لم ينظر اليّ بغضب . فتنفس الاب ثم مضى في حديثه فقال وبناءً على اوامر القائد توجه القواد الثلاثة الى لندن وبعد الحماكة اذن لهم ان يبيتوا في بيوتهم آخر مرة في حياتهم ثم صرفوهم بعد ان اخذوا عليهم عهداً ان يعودوا في اليوم التالي ويسلموا انفسهم الى القضاء . ولما قال ذلك سمع وطء اقدام في الشارع فاصغى ليتحقق ذلك وفي هذه الفترة حانت من ابي التفاته الى والدتها فرأت عينيها سابحتين في الدموع فذعرت وقالت ما بالك تبكين يا والدي؟ فهل خفت على هؤلاء القواد؟ لا . لا تخافي فستسمعين الان بنجاتهم . ثم قالت لابيها وكيف حكمت عليهم المحكمة؟ قال قد حكمت عليهم بالاعدام رمياً بالرصاص فارتجفت الطفلة وقالت نبأ لهذا الحكم الجائر!! وهل انت تعرف هؤلاء القواد يا ابي؟ قال نعم اعرفهم . قالت ياليتني اعرفهم انا ايضاً لاني احب جميع القواد . ولورايتهم وارتدت ان اقبلهم فهل يسمحون لي بذلك؟ فارنعش الاب وقال واحد منهم يسمح لك بذلك بلا شك فقبلني عنه فارتمت الابنة على عنق ابيها وقبلته ثلاثاً وهي تقول هذه لك عن احد هم وهاتان القباتان الاخران للقائدين الاخران ولورايتهم لقلت لهم بلا تردد ان والدي هو قائد ايضاً وشجاع مثلكم وهولو كان في مكانكم لفعل كما فعلتم لان في عملكم ما لا يجوز ان يسمى خيانة او ذنباً . ولما قالت ذلك التفتت الى امها فرأتها تبكي والدموع تنهمل من عينيها بغزارة فقالت لها حسبك بكاء يا اماه فقرربا ونصل الى النتيجة

المفرحة في القصة . فزفر الاب وقال ولكن قبل خروج هؤلاء القواد من المحكمة ذهب القضاة والتمسوا من القائد العام ان يصفح لاثنين من المحكوم عليهم وينفذ الحكم في واحد فقط ليكون عبرة للجيش . فرفض القائد العام التماسهم وقال لهم بما انكم قد حكمتم بالعدل والشرف على هؤلاء الرجال بالاعدام فليس لي ان انقض حكمكم لئلا اشين بذلك شرفي العسكري . اما القضاة فاجابوه بانهم نعم قد حكموا على المجرمين بالاعدام الا انهم لا يقدرون ان يصفحوا لهم لان ذلك ليس من ولايتهم . وكان القائد العام صعب المراس غير انه قبل هذه المرة شفاعات القضاة وقال لهم لا بأس من الافراج عن اثنين منهم وعليه فادعواهم ليسحبوا القرعة ومن وقعت عليه يُنفذ فيه الحكم لا محالة . ولما عرّض ذلك على القواد ابوا كل الابداء واصرّوا على الاذعان لقرار المحكمة لان ذنبهم في نظر المحكمة واحد فكيف يجوز ان يعدم واحد ويبقى اثنان في قيد الحياة وفضلاً عن ذلك فالذي يسحب قرعة القتل يكون كانه قتل نفسه وهذا مخالف لنص الشريعة . فقالت ابني فاذا هم يفضلون الموت معاً . اجاب نعم هو كما تقولين . واما قال الاب ذلك سمع وقع اقدامه تقرب الى المنزل ولم يلبث ان سمع قرعاً غنياً على الباب وقادلاً يقول باسم الحاكم آمركم ان تفتحوا . فوقفت ابني وهي تقول لوالدها لعلمهم من الجنود يا ابني فاسمح لي ان افتح لهم لاني احب الجنود . ثم قفزت الى الباب ففتحته وهي تقول اهلاً بكم ايها الجنود . ولم تكن الا طرفة عين حتى دخل نفر من الجنود الطوال القامات وفي طلبهم ضابطهم فوقفوا في وسط الغرفة صفّاً واحداً وحرابهم في

أيديهم . ثم تقدم الضابط خطوتين الى الامام وحيًا القائد مايفار
وطلب منه ان يسير معهم الى قلعة التوير . فنرض القائد ورد التحية ثم
بادر فودع امراته وابنته بما لا يوصف من التأثر والحزن وانطلق
مع الجنود الى حيث ارادوا . وكانت ابني لم تفهم شيئاً من كل ما جرى
فلما خرج ابوها قالت لامها انا اعرف قلعة التوير يا والدتي فقد اخذني
ابي اليها مرارا ولعله الان ذاهب الى هناك ليرى القواد الثلاثة الذين
حكى لنا قصتهم . فشبهت الام المسكينة واسترسلت الى البكاء والتحجب
ثم صاحت والياس يقطع صوتها اوآه ما اتعس حظي وحظك ايتها
الطفلة المسكينة . ثم سقطت متلاشية القوى . فجاء الخدم
وتقلوها الى سريرها واعتنوا بامرها الى ان جاء الاطباء واخذوا في
معالجتها بالمنبهات والمنعشات . كل ذلك وابني لم تفقه شيئاً من هذه
الاسرار والغوامض غير انها لما رات امها تبكي اشتد عليها ذلك وبكت
كثيراً

ولما كان اليوم التالي بقيت الوالدة المسكينة في فراشها ومن
حولها الاطباء يعالجونها بكل ما أوتوه من المهارة . ولم يسمح لابني ان تدخل
على والدتها لئلا تزيدها تأثراً بيد ان مرضعتها اذنت لها ان تخرج الى
الشارع وتلعب . وان هذه الفتاة الصغيرة بعد ان لعبت قليلاً تذكرت
ان والدتها مريضة وان اباهما لم يعد من التوير فعزمت ان تنطلق بنفسها
وتستدعيه ليكون عند والدتها المريضة

وفي هذا الوقت كان أعضاء المحكمة العسكرية قد مثلوا امام القائد العام فسألهم عن القواد المجرمين فاجابوا انهم لا يزالون مصرين على رفض سحب القرعة ويفضلون نفاذ الحكم باعدامهم جميعاً من ان يجرؤا شيئاً منافياً لشريعتهم وشرفهم فاطرق الحاكم قايلاً وهو لا يدري ماذا يفعل . ولكنه لم يلبث ان اشرق وجهه فرفع رأسه وقال لا يجب ان يموتوا كلهم بل يجب ان يموت واحد منهم فقط بالقرعة وعليه فوقفهم في هذه الغرفة المجاورة صفاً واحداً وجوهمهم الى جهة الحائط وايديهم موثقة الى ظهورهم على هيئة صليب . ولما قال ذلك نهض أعضاء المحكمة فشكروه على كرم اخلاقه وخرجوا . فاستدعى هو احد حجابيه وامره ان يخرج الى الشارع ويحضر اليه اول طفل يصادفه في طريقه باقرب من التوير . وما غاب الحاجب الا بضع دقائق حتى عاد يقود بيده ابي الصغيرة التي جاءت في ذلك الصباح الى التوير تبحث عن ابيها كما مر سابقاً . فدخلت هذه الطفلة بدون وجل وتقدمت الى القائد العام الذي كان الملوك والامراء يرتعدون عند ذكر اسمه وقالت له برباطة جاش انا اعرفك يا كرومويل وقد شاهدتك مراراً حينما كنت تمرُّ بازاء بيتنا وانا اعلم ايضاً ان الجميع يخشونك باسك اما انا فلا اخشاك لانك لم تنظر اليّ بعبوسة وغضب وهل تذكر حينما رايتني مرة بشوبي الاسمر وضحكت في وجهي ؟

وكان القائد العام الى تلك الساعة جالساً مقطب الوجه مشتمت

الافكار فلما راي هذه الطفلة وسمع حديثها اشرق وجهه فبش لها وقال
اعذريني ايتها الصغيرة لاني لا اتذكر ذلك وقد اكون رايتك واحببتك
كما اني احبك الان . قالت عجباً وكيف نسيت انك رايتني مع
اني لم انس انا ذلك . قال لا بأس فاعذريني على ما مضى ومنذ
الان لم اعد انساك . قالت ولئن نسيتني يا كرومويل فانا احبك لانك
مثال اللطف وكرم الاخلاق كوالدي فاجلسني الان على ركبتيك
لاني اشعر يبرد شديد وتعب مفرط . فتبسم القائد العام وشعر بميل
عظيم الى هذه الفتاة الطاهرة فاخذها واجلسها في حضنه وقال انت
تذكريني الان بابنتي نعم انها اصبحت كبيرة غير انها وهي صغيرة مثلك
كانت تحب الجميع وتوأنس الجميع وبمحبتها ولطفها كانت تجعل الجميع
خدماً وعبيداً لها وهي لما كانت تجلس في حضني كانت تنسيني كل
مشقات الوظيفة وعناء العمل . قالت فاذا انت تحبها كثيراً . فضحك
القائد وقال بلا شك بل كنت اتم كل اوامرها . قالت ما الطفلك وما
ارق قلبك فقبلني اذا . قال من كل قلبي . ثم قبلها . قالت قبلني
ايضاً عن ابنتك اذا كنت تسمح . فقبلها ثانية وقال وهذه لها فلا
لزوم لان تستأذني بل تقدرين ان تأمري بالنيابة عنها فاتم امرك عن
طيبة خاطر . فصفت ابي طرباً . وان هي كذلك دخل على القائد
العام احد الضباط فانحنى له وقال ايها السيران المجرمين في اماكنهم
كما امرت . فاخذ القائد العام وقال له ستدخل الان هذه الطفلة على

الجرمين وتضع بيد كلٍ منهم كرةً فالذي تكون الكرة الحمراء من نصيبه خذوه لينفذ فيه القضاء وافرجوا عن الآخرين . فأخذت ابي الكرات

ولم تبطىء ان دخلت الغرفة التي اشار اليها القائد العام . وما اشد ما كانت دهشتها حينما دخلت ورأت اباها في جملة الواقفين بازاء الحائط . فقفزت اليه والقت في يده الكرة الحمراء والقت الكرتين الباقيتين في يد كلٍ من القائدين الآخرين ثم عادت الى ابيها وهي تقول نو تنظريا والدي العزيز ما اجمل هذه الكرة التي جعلتها من نصيبك فهي حمراء وظريفة

فنظر الاب باشد تأثر الى هذه الطفلة الطاهرة التي بالقائها الكرة الحمراء في يده قد حكمت عليه حكماً باتاً بالاعدام . فنهد من كبدي حرى ثم انحنى عليها وقبلها بمنتهى الخور والحب . اما الجنود والضباط والقائدان الآخران فبتهوا وجمدوا كالاصنام وقد هالهم هذا الحادث واثر فيهم تأثراً شديداً فلم يتمالكوا ان بكوا ولم ينجسوا من دموعهم

وبعد ان ساد الصمت بضع دقائق تقدم كبير الضباط وقال للقائد مايفار يسوءني جداً ايها السير ان اتقدم لاخذك الى الجانب الآخر من القلعة فالواجب يدعوني الى ذلك . فنظرت ابي الى الضابط وقالت له بمحبة وكيف تريد ان تأخذ ابي ! ان هذا غير ممكن فامي

مريضة وانا قد جئت الى هنا لا آخذه اليها ثم التفتت الى ابيها وقالت هيا بنا يا والدي نخرج من هنا لان امي بانتظارك

فدمعت عينا القائد وتنهد من قلب اسيف وقال اوآه ايتها الحبيبة اني مضطرب ان اذهب معه الى حيث يريد فارجعي وحدك ولا تنسي اباك . فذهلت ابي وعادت الى الضابط فرفست الارض برجلها وصاحت بغضب قلت لك ان امي مريضة فأطلقه حالاً . فتبسم الضابط وقال لها يعلم الله ايتها الطفلة العزيزة اني مضطرب الى اتباع الاوامر المعطاة لي من القائد العام

فتركته ابي يعطي اوامره للجنود واسرعت الى القائد العام ولم تلبث ان عادت وقد امسكت بيده وهي تقول اناشدك الله ان تأمرهم باطلاق سراح والدي لان امي مريضة في البيت وهي على احر من الجمر تنتظر عودته ولقد قلت لهم ذلك فلم يريدوا فبهت القائد العام وقال لها فاذا هذا ابوك ايتها الطفلة العزيزة ؟ قالت نعم ولو لم يكن ابي لما وضعت في يده الكرة الحمراء

فدُعر كرومويل لهذه الحادثة الغريبة وشعر بانزعاج عظيم وتسلطت على وجهه غيوم الكآبة فأطرق مفكراً كمن يحارب افكاره فيما يصمم عليه . ولما رأت ابي اربابا كه وتردده قالت له انت وحدك تقدر ان تأمرهم باطلاق سراح والدي فارجوكم ان تفعل هذا الان ولقد عاهدتني منذ هنيئة ان تفعل كل ما آمرك به فها انذا آمرك الان

بفكّه واخراجه من هنا

وكان القائد العام الى ذلك الوقت مقطب الوجه كثيراً فلما سمع هذه الكلمات الصادرة من مثل هذه المخلوقة الصغيرة اشرق وجهه وانجلت عنه ظلمات العيوس فتبسم وقال كلا لست بمخلف وعدي فاشكرك اللهم لانك انقذتني الان من تجارب الشيطان فلولا اني وعدت هذه الطفلة بتنفيذ اوامرها لكان قضي علي والدّها لا محالة وأكان سبب القضاء عليه ابنته نفسها التي هي اعزّ الناس لديه . ولما قال هذا امر الحراس ففكوا وثق القائد مايفار وقال لابي هذا ابوك .
نخذه ايها الملك الطاهر

فأبرقت اسرة الفتاة وتقدمت الى القائد العام فعانقته وهي تقول
ان ظني لم يخطئ ، محنة منك يا كرومويل فانت مثال المروءة وكرم
الاخلاق

ولم تلبث ان خرجت بابيها وبالقائدين الآخرين من ذاك المحل
الخفيف وذهب كل الى بيته وقد طابت نفوسهم واقترت ثغورهم

....

وفي مساء ذلك النهار كان القائد مايفار جالسا في ردهة منزله
والى جانبه زوجته وبينهما ابنتهما ابّي يتجادبون اطراف الحديث
ووجوههم طافحة بشراً وقلوبهم مفعمة هناء

بدايع شعرية

قال بعض الشعراء

يا من يُضَيِّعُ عمره في اللهو أمسك
واعلم بانك ذاهب كذهاب أمسك

وقال آخر

رأيتُ وجهاً على قضيبٍ تخالهُ البدر والهلالات
فقلتُ ما الاسم قال لولو فقلتُ لي لي فقال لا لا
وقال غيره

رُبَّ سفيهٍ جليسٍ سوءٍ مفترسٍ عضنا بنا به
يقدح فينا بكل عيبٍ وكل ما قاله بنا به

وقال المرحوم الشيخ امين الجندي في جزّار

يا واضع السكين بعد ذبيحه في فيه يسقيها رحيق لهاته
ضعها على المذبوح ثاني مرة وانا الضمين له برد حياته

وقال غيره في فتى اسمه موسى

رأيت في جلق غزالاً تحار في حسنه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى قلت هنا تحلق الذقون

شقاء المملوك

(تابع لما قبل)

فقلت اني اليوم قد اقسمت في معبد الله على محبتك والامانة لك . فانا لم افعل كل ذلك الا مضطرة لتوثيق اواصر المودة والولاء بين المملكتين المتجاورتين . لان ابي واباك وغيرهما من كبار المملكتين ونبلاءهما قد اجتهدوا في ان يجمعونا برابطة الزواج حباً بمصلحة الامتين فرضيت انا ان اضحي بحياتي ارضاء لهذه المصلحة مع اني لا احبك ولا اقدر ان احبك . فنحن متحدان بالاجسام فقط وليس بالنفوس والقلوب هذه هي افكاري او صحتها لك لكي تكون على هدى في امرك فلما سمع البرنس ذلك وقف كالماخوذ وهو لا يدري ماذا يجب ان يقول او يفعل وقد شعر بتمزق في قلبه وتفتت في كبده وبعد نحو دقيقة من الزمن نظر الى وجه البرنسة فقرأ فيه ان كلامها مما لا يقبل الرد وهو الحقيقة بعينها فقال لها - فاذا انت تحبين سواي فلما سمعت منه ذلك احتدمت ونهضت عن الكرسي فتقدمت اليه وحمرة الخجل والانفة تورّد خديها وجبهتها وقالت انت واهم في

قولك فلواني احب سواك لما اقترنت بك ولو كنت بمقام اسي من مقامك
الحالي مئات من المرات . والحقيقة هي اني لم اعرف الهوى ولم يذكر احد
امامي كلمة حب فانا منذ الصغر قد اُشربت بغض الرجال فلم احب
رجلاً قط وكانت كراحتي الشديدة لجنس الرجال غموماً تزداد يوماً
بعد يوم حتى صرت امقت مشاهدتهم وانفر من سماع اصواتهم ولما
يدنو احد منهم ليلبس يدي اشعر بتأثير مزعج وباهانة كلية منه يظل
اثرهما في نفسي بضعة ايام وكل هذا لم يخف على والدي . فهي على
الدوام كنت تسميني (غير طبيعية) واعلني كذلك . وها اني قد اطاعتك
على مكنونات قلبي وانت بعد ذلك وما تشاء . غير اني اسالك ان
تعترف باني باقتراني بك قد قدمت نفسي ضحيةً لله وللأمتين المتجاورتين
ليس الا

وكان ولي العهد يسمع الحديث بقلب خافق وقد ملكه العجب
والذهول فظن ان البرنسة قد خولط في عقلها او انها تهذي غير انه لم يرف
حركاتها وما لامحها ما يدل على ذلك فتأثر اشد تأثراً وارتسمت على
وجهه امارات الحزن . اما هي فلم ندعه يفكر طويلاً حتى قالت له
واني اراك تستغرب كلامي ولا تكاد تصدقه لما اشتهر عن النساء من
رقة الشعور واستعدادهن الفطري للغرام والهوى اذ يعتبرن ان الزواج
لذة فائقة او هو السعادة العليا . اما انا فلست على رأيهن من هذا
القبيل لاني لا اعتبر الزواج شرفاً بل حطةً وعاراً

قال فمن كلامك إذا يجب ان استنتج
فقطاعته بقولها — يجب ان تستنتج اني لا احبك لاني لا اقدر ان
احب رجلاً . نعم اني زوجتك وقد سلمت ذاتي لك ولشعبك
الآن المحبة

فدنا منها وامسك بيديها وقبلها بلطف وهو يقول ما اغرب هذه
الشروط !!!

اما هي فلم تجب ولم تمنع غير ان قشعريرة دبّت في كل جسمها
من هذه القبلة . وكان البرنس ينظر اليها ويتأمل في محاسنها وهو يندب
سوء حظها ويقول في نفسه «أَوَ اكون مدكاً وفي حوزتي هذا الجمال
الباهر وليس في امكاني ان انبه فيها عوامل المحبة لي ؟ عجباً او تخلق هذه
المرأة بهذا القالب الفتان وليس فيها شيء من العواطف والاميال والاهواء
والشهوات ؟ ولو انها تبدو كالهة هبطت من العلاء غير انها مع ذلك
امرأة . . » واخيراً قال لها — انك اوضحت لي كل ما في نفسك فانا
مستعد ان اتجرع مصابي بالصبر غير اني لا اكتمك اني انا ايضاً لست
بإلثم فانا اطلب ما ليس لي واسعى للحصول على ما ليس في حوزتي .
وهكذا فنحن الان قد ادرك كل منا ما ينطوي عليه الآخر

فرفعت اليه عينيها السوداء وين تتلأأ فيهما نفسها الطاهرة الجريئة
وهي كأنها تدعو الى حرب معنوية ذلك الذي اعطيت له السيادة المطلقة
على جسدها ثم حنت راسها وانصرفت عنه الى مخدعها وعيناها مغرورتان

بالدموع ومن ذاك الحين لم يعد يجري بينها وبين زوجها مثل هذا الحديث

الفصل السابع الملك والملكة

ومضت الايام ودرجت معها الشهور والاعوام والحالة لم تتغير قط فيما بين البرنس وزوجته وقد كانت هي كشهيدة نتم بكل دقة واجبات الزوجة والام دون ان تتحرك فيها عاطفة حب نحو زوجها فولدت ثلاثة بنين ومع هذا فلم يتغير شيء من جمالها سوى انها كانت قبل الولادة نجماً لامعاً فاصبحت الان بدرأ منيراً . ولم تكن واحدة من نساء البلاط تحاكيها في جمالها وكمالها . وكانت هذه البرنسة شبيهة جداً بكليو بطرا المصرية التي لم تقدر السنون ان تغير شيئاً من جمالها واعتدالها . فعيناها بقيتا كما كانتا لامعتين ساطعتين وبدنها ابيض بضاً وجميع الافكار والحاسات والحوادث التي جرت لها لم تؤثر شيئاً في نفسها كأنه لم يحدث شيء وكان الكثيرون من بطانة الملك يتدلهون عند مشاهدتها اما هي فلم تكن لتحفل بشيء من هذا

وكان ولي العهد على اثر اقترانه بها يسعى جهده ليفوز بشيء من ميلها ومحبتها ليس لانه كان يحبها فقط بل لكي يتغلب عليها ويستولي على

عواطفها ويهدم الحاجز الذي بينها . ولما تأكد ان مساعيه قد ذهبت
درج الرياح شرع يلمي نفسه بمعاشرة نساء القصر . فكان يطايبن
ويسايرهن ويظهر لهن المحبة وهو يريد بذلك ان ينبه في زوجته عاطفة
الغيرة . غير انه لم يستفد شيئاً لانها كانت كانها لم تلاحظ ما يجري
حواليها . وكان هذا اكثر مما يقدر البرنس ان يحتمله فلبث صابراً زاعماً
انه لا بدله من الغلبة عليها يوماً ما . وكان في نفسه يعتبرها كثيراً لانها
كانت في معاملتها لاولادها واعتنائها بشؤونهم وآدابهم تفوق سائر
الامهات

وظل البرنس ولياً للعهد بعد زواجه بالبرنسة ثمانية عشر عاماً فلما
ارتقى الى سرير الملك بعد وفاة ابيه افكر بان زوجته قد تغير الان
شيئاً من عوائدها معه . غير ان ذلك كان زعماً باطلاً لانها بقيت كما
كانت على حالها الاول

*

وقد جرى في المملكة يوم وفاة والده وارتقائه هو الى سرير
المملكة احتفالات شائعة اشترك بها جميع افراد الرعية في سائر اطراف
المملكة من اقصاها الى اقصاها . وكان الجميع يتوسمون خيراً في مستقبل
هذا الملك الجديد نظراً لما ذاع عنه وهو ولي للعهد من حب الرعية
وميله الى العدل والانصاف واستعداده الى رفع شان البلاد من جميع
الوجوه واتصافه برقة الطباع وبديع الخصال وبعده عن العجرفة

والترف

ومضى على وفاة ابيه ثلاث سنوات وهو جالس على سرير المملكة
دون ان يجري في البلاد تغيير مهم . وقد صار له من العمر خمس
واربعون سنة ولابنه البكر اي ولي عهده عشرون سنة كاملة

الفصل الثامن

يقظة الملك

وقد درس الملك في خلال هذه السنوات الثلاث التي مرت
من ملكه احوال المملكة درساً حقيقياً واطلع على مناسد كثيرة ومظالم
اكثر وعرف ان الرعية باسرها تكابد مرّ العناء وهي لا تقدر ان
توصل صوتها الى ملكها لان رجال البلاط والوزراء والكبراء يقفون
سداً في وجهها ويبلغون الملك على الدوام بان البلاد راتعة في مجامع
النعم وكان هو في هذه السنوات المنقضية متولياً شئون المملكة
كاسلافه فكان الوزراء يقررون ما يرون وهو يجاريهم في كل شيء
فان قالوا ان فلاناً يستحق الانعام وارتب انعم عليه وان قالوا ان
الضريبة الفلانية مما لا بُد منه لاجل مصلحة المملكة امر بها
الى غير ذلك من الشؤون والامور التي كانت يامر باجرائها تنفيذاً
لقرار الوزراء . ولكنه لما اطلع على فساد الاحكام ونفاق الشرف في البلاد
قرر ان يستيقظ من غفلته وينشط من عقاله ويبادر الى العمل بنفسه

وهذه السنوات الثلاث التي قضاها اسيراً على عرشه قد نبهت فيه اميالا كثيرة كحرية الكلمة وحرية العمل وغيرها وصار مذنبه الى ذلك يفكر كثيراً بكل فائدة يراها صالحة لتحسن حالة رعيته وبلاده

وقد قضى في شرفة قصره هذا النهار وهو اليوم الاول من تاريخ هذه الرواية ساعات طوالاً منذها لا غائصاً في بحار افكار وبعد ان تأمل طويلاً اندفع من صدره تنهد عميق وكأنه اشرق عليه فكر غريب في تلك اللحظة فقال في نفسه (اجل ان المماكة مصابة الان بادواء خطيرة ولا بد لي من استئصال جراثيمها فلن ابقى بعد الان العوبة في ايدي الوزراء والمشيرين بل ساسعى الى العمل كما يوحي اليّ عقلي ويلمهني قلبي ومحبتني لشعبي وسأكون له لا ملكاً فقط بل صديقاً ايضاً . واذا لم تفهمني ريعتي وتقدر مساعيّ التي سابدلها في سبيل خدمتها فلتنهض كلها ضدي ولتثر علي حرباً شديدة ولكني قبل موتي سأبرهن لها اني كنت اهلاً لان ادعى انساناً . اليوم أريد ان اشرع في العمل . اليوم بداءة ملكي وما مضى فقد مضى ، ثمانية عشر عاماً لما كنت ولياً للعهد قد اضعيتها بالفارغ وثلاثة اعوام بعدها كنت اسيراً لوزرائي وارباب مملكتي اما الان فقد اقضحت لي الحقيقة وادركت ان نواميس الطبيعة مؤسسة على الحق والعدل بخلاف نواميس البشر القائمة على الظلم والغدر والخديعة . وها اني ساقف في وجه كل ظلم وكل عسف واخدم

الحق والعدل ولو كان في ذلك حتفي . ان شعبي قد توجّني منذ ثلاث سنوات واما تتويجي الحقيقي فهو في هذا النهار حيث انا بملء حريري ومطلق ارادتي اضع على راسي تاج الحق العدل)
ولما قال الملك هذا نهض من مكانه فدخل الى غرفة الكتابة في قصره وجلس الى مكتبته واخذ يطالع بعض الاوراق التي كانت موضوعة فيها

الفصل التاسع

الملك وكاتم اسراره

وبينا كان الملك جالسا الى مكتبته منهمكا بالمطالعة دخل عليه السير روجر دي لوني كاتم اسراره وهو رجل طويل القامة جميل الطلعة شديد العضل وكان الملك يحبه ويعتبره اخلص اصدقائه ويوحي له باسراره ويعتمد عليه في اكثر الشؤون . فلما رآه داخلا بشّ اليه وقال - تراني في هذا النهار يا روجر سعيدا جدا لاني صممت على العمل كما قلت لك فعسى ان يفتح علي بكل ما فيه الخير لرعيتي فانحنى السير روجر للملك وتبسم ولم يجب

فقال له الملك - ما بالك لا تجاوبني بكلمة يا روجر ؟ فهل انت تزعم اني اخاطبك بالاحاجي والمعميات او انت في شك من كلامي ؟
(سنتاني البقية)